"في التسليم للعترة الطاهرة"

الأسلوب الرضوي في تناول القرآن الكريم وتفسيره

Radhwite Style in Explicating the Glorious Quran

أ.م. د خليل خلف بشير

العراق/ جامعة البصرة/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

Asst. Prof. Dr. Khaleel Khalaf Basheer
Department of Arabic/ College of Arts/
University of Basrah/ Iraq

dr.khalel.am@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

الملخص:

هناك ترابط عميق بين القرآن والعترة حسب حديث الثقلين، حيث قيل إنّ فهم أيٍّ منهما يتوقّف على فهم الآخر، وأسلوب الأئمّة ﷺفي الحياة والتفسير ولاسيّما أسلوب الإمام الرضا ﷺ يؤكّد الحقيقة المذكورة.

إنّ وجه الترابط بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة واضح، إذ لايمكن تفسير القرآن عبر العترة، حيث إنّ التفسير لا يعني التعريف والتوضيح والتبرير والتأويل بل يعني كشف القناع، ولكل من الكلمات المذكورة معنى يخصّها فالتفسير يعني كشف القناع ليس عن اللّفظ؛ لأنّ كل لفظ يدلّ على معنى خاص فلا غموض في اللّفظ حتى يكون بحاجة إلى التوضيح وكشف القناع عنه، فكشف القناع يختص بحقيقة محجوبة مستورة تستحيل معرفتها ما دام القناع موجوداً، وفي الحقيقة كشف القناع هو الكشف عن مراد المرسل ـ وهو الله عزّ وجلّ فليس المقصود هو الشيء المفهوم من اللّفظ وإنّ كان اللّفظ كاشفاً عن مراد المرسل إلى حدٍّ ما.

ولكن، إذا كان في اللّفظ شيء من الغموض أو الالتباس، فلا يعبّر عن مراد المرسل فيختفي مراده في ستار من اللّفظ، فالهدف من تفسير القرآن هو فهم مراد المرسل وليس الهدف فهم الدلالات اللّفظية في القرآن بل أحياناً يخفى المعنى عن السامع، هذا هو التفسير، ولا أحد يستطيع كشف القناع عن مراد ربّ العالمين إلا أهل البيت ﷺ، لذلك أنّ تفسير القرآن منحصر في أهل البيت(عليهم السلام)، ولا أحد دونهم يستطيع تفسير القرآن.

إنّ هذا البحث يتحدث عن أسلوب الإمام الرضا ﷺ في تناول القرآن الكريم وتفسيره فقد كان القرآن رفيق الإمام في حله وترحاله، وفي يقظته ومنامه، وفي حياته وقبيل وفاته، وفي أكله وشربه فهو ترجمان من تراجمة القرآن؛ لذا تراه مفسّراً القرآن في كثير من مناظراته وحواراته مع المأمون والزنادقة وأهل الكتاب، وكذا في الأسئلة التي توجه من بعض الشخصيات، لذلك فهو يدور في محورين هما:

الأول: القرآن الكريم والإمام الرضا ﷺ.

الثاني: من مأثوراته في التفسير.

أما أسلوبه في التفسير فقد تنوع فتارةً يفسّر القرآن بالقرآن، وثانية يفسّره بالتأويل لا يعتمد فيه على ظاهر الألفاظ، وثالثة يفسّره تفسيراً فقهياً، وهكذا بحسب المقام إذ تجد مناهج التفسير كلها عند الإمام (صلوات الله عليه) واضحة جلية ينوّع في استخدامها.

ولم يكن للإمام الرضا ﷺ كتاب في التفسير، وإنما هي آيات يُسأل عن معناها، وقد اعتمد على مبدأ الحوار في تفسيره للآيات.

Abstract

The vast scientific wealth comes from Imam Ridha (Peace be upon him) to be at the hand of the Islamic world, the humanitarian world in general and to the adherents of the Ahalalbayt in particular. Such a wealth covers all the fields of science and knowledge: philosophy, discourse, medicine, jurisprudence, explication, history, education, .ethics, politics and so forth

The, here, talks about the method of Imam Ridha to deal with the Glorious Quran and its interpretation. As a companion, the Glorious Quran is to the Imam in all the walks of life and every moment: travelling, vigilance, sleeping, food and the like. He is an interpreter of the Glorious Quran, that is why he reverts into employing the Quran in debates and dialogues with Al-Mammun, heretics and the people of the book as well as in replying to questions stirred by :some

.(First: The Holy Quran and Imam Al-Ridha (Peace be upon him

.Second: His masterpieces in explication

As for his first method of explication, there is a variation of the explication of the Glorious Quran: he explicates the Quran by Quran. Koran in the Koran. Secondly, he does by justification and not depends on the appearance of the utterances. Thirdly, he does it by jurisprudence, as a result , all the methods of explication could be found in the chronicle of the Imam .For the imam Al-Ridha , there is no explication book , but there are verses explicated by virtue of . questions he is asked and dialogues he holds

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الصادق الأمين (صل الله عليه واله وسلم)، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد فهذا بحث يتحدث عن أسلوب الإمام الرضا ﷺ في تناول القرآن الكريم وتفسيره فقد كان القرآن رفيق الإمام في حله وترحاله، وفي يقظته ومنامه، وفي حياته وقبيل وفاته، وفي أكله وشربه فهو ترجمان من تراجمة القرآن؛ لذا تراه مفسّراً القرآن في كثير من مناظراته وحواراته مع المأمون والزنادقة وأهل الكتاب، وكذا في الأسئلة التي توجه من بعض الشخصيات فكان البحث يدور في محورين هما:

القرآن الكريم والإمام الرضا ﷺ.

من مأثوراته في التفسير.

ولا تختلف نظرة الإمام الرضا ﷺ عن بقية الأئمة ﷺالى القرآن بوصفهم ترجمان القرآن والعدل الثاني بعد كتاب الله،وأنهما لن يفترقا حتى يردا على المصطفى الحوض فهو يرى أنّنا يجب أن نقف عند آيات القرآن ندرسها ونتدبرها ونأخذ منها خطوط السير في الواقع،ومناهج الحركة في ما نتحرك به في هذا العلم أو ذاك فهو الهدى والنور فإذا انفتحنا عليه، وعرفنا معانيه، فإننا سوف نعرف الهدى مشرقاً منيراً، أما إذا تجاوزناها الى غيرها فإننا نرى ظلمات بعضها فوق بعض.

ولما سئل عن كون القرآن خالقاً أم مخلوقاً أجاب بقوله ((ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل))، وأرشد في قول آخر الى اتباع المحكم في حالة وجود المتشابه في القرآن وكذا في أخبار أهل البيت ﷺفكان القرآن هو القاعدة الفكرية التي يستمد الإمام منها كل فكرة، ولاسيما في الأسئلة الموجهة إليه فكانت إجاباته تمثل انتزاعات من القرآن.

وكان يكثر من تلاوة القرآن في الليل في فراشه فإذا مرّ بآية تتحدث عن الجنة أو النار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار، وكان ﷺ يتلو القرآن عند الطعام فإذا أكل أتى بقصعة فتوضع بقرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئا فيضع في تلك القصعة ثم يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ « وكان الإمام ﷺ من تفاعله مع القرآن إذا قرأ بعض سور القرآن الكريم عقب عليها ببعض الكلمات من ذلك سورة التوحيد فإذا فرغ من تلاوتها عقب عليها بقوله: « كذلك الله ربنا « يقول ذلك ثلاثا، وكذا سورة الكافرون وإذا فرغ من قراءتها قال ثلاثا « ربي الله وديني الإسلام « أما سورة التين فيقول بعد الفراغ من قراءتها: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين «، وأما سورة القيامة إذا قرأها يقول: « سبحانك اللهم..»، وكذا سورة الفاتحة فبعد فراغه من قراءتها يقول: « الحمد لله رب العالمين.. ومثل ذلك سورة الأعلى فإذا تلا هذه السورة قال: « سبحان ربي الأعلى .

وظل القرآن أنيساً حتى الرمق الأخير من حياته الشريفة إذ يروى أنه كان آخر ما تكلم به قوله تعالى (لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)، وقوله(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً).

أما أسلوبه في التفسير فقد تنوع فتارةً يفسّر القرآن بالقرآن، وثانية يفسّره بالتأويل لا يعتمد فيه على ظاهر الألفاظ، وثالثة يفسّره تفسيراً فقهياً، وهكذا بحسب المقام إذ تجد مناهج التفسير كلها عند الإمام (صلوات الله عليه) واضحة جلية ينوّع في استخدامها.

ولم يكن للإمام الرضا ﷺ كتاب في التفسير، وإنما هي آيات يُسأل عن معناها، وقد اعتمد على مبدأ الحوار في تفسيره للآيات، وكان له ﷺ جهد في إثبات عصمة الأنبياء – عليهم السلام- عندما يُسأل عن تفسير بعض الآيات الظاهرة في عدم عصمتهم، وجواز المعصية عليهم كما في أكثر مناظراته مع المأمون كما في مناظراته واحتجاجاته مع المأمون، والزنادقة، وأهل الكتاب.

على أنني بذلتُ ما بوسعي ليستقيم البحث على سوقه راجياً من الله القبول ومن الإمام الشفاعة يوم (لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى– الأنبياء/ ٢٨)، والله ولي التوفيق.

القرآن الكريم والإمام الرضا ﷺ

إن القرآن الكريم كلام الخالق جلّ وعلا وكتابه الذي تجلى لعباده من غير أن يكونوا قد رأوه ، لقول أمير المؤمنين ﷺ ((فَبَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ))[1]وحبل الله المتصل به تعالى الذي أمر الناس الاعتصام به لقوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُّ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ – آل عمران / ١٠٣) ،وله طرفان أحدهما بيد الله سبحانه وتعالى ،والطرف الآخر بأيدي الناس .قال رسول الله صلى الله عليه وآله:((أيها الناس إني فرط لكم ، وإنكم واردون علي الحوض، حوضا أعرض مما بين صنعاء وبصرى ، فيه قد حان عدد النجوم من فضة، وإني سائلكم

حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، السبب الأكبر كتاب الله طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، ...))[٢] ،وللقرآن أيضاً مراتب بعضها فوق بعض يتنزل من عالٍ الى دانٍ نزولاً لقوله تعالى (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا – الإسراء / ١٠٥)، ويترقى من دانٍ الى عالٍ كذلك صعوداً كما قال تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ – الزخرف / ٣-٤)[٣].

ولا تختلف نظرة الإمام الرضا عليه السلام عن بقية الأئمة الى القرآن بوصفهم ترجمان القرآن والعدل الثاني بعد كتاب الله،وأنهما لم يفترقا حتى يردا على المصطفى الحوض فعندما سألوه عن قوله في القرآن قال: ((كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا))[٤] فهو يرى أنّنا يجب أن نقف عند آيات القرآن ندرسها ونتدبرها ونأخذ منها خطوط الحركة في الواقع ،ومناهج الحركة في ما نتحرك به في هذا العلم أو ذاك فهو الهدى والنور فإذا انفتحنا عليه ،وعرفنا كل معانيه فإننا سوف نعرف الهدى مشرقاً منيراً أما إذا تجاوزناها الى غيرها فإننا نرى ظلمات بعضها فوق بعض[٥].

وذكر عليه السلام يوما القرآن فعظم الحجة فيه والآية والمعجزة في نظمه ، فقال : ((هو حبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدي إلى الجنة، والمنجي من النار، لا يخلق من الأزمنة، ولا يغث على الألسنة؛ لأنه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان، وحجة على كل إنسان،﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[٦]))[٧] فمن أخذ بالقرآن استطاع أن يكتشف طريق الجنة في كل ما يخططه القرآن للإنسان، وهو المنجي من النار، ولا يبلى على الأزمنة، ولا يفت

على الألسنة؛ لأنه لم يُجعل لزمان دون زمان بل جُعِل دليل البرهان والحجة على كل لسان فكلامه لا يُنسب إليه التحريف سواء من حيث الزيادة أو من حيث النقصان ؛لذا ما يُنسَب الى شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم يرون تحريف القرآن فإن ذلك مما يكذبه حديث أئمتهم[٨].

وفي حديث عنه عليه السلام، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام ((أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلا غضاضة؟ فقال لان الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد ، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة))[٩] فهو كتاب متجدد أنزله الله لجميع الأزمنة وجميع الأقوام ؛لذا نجده تارة يخاطب الناس عامة بقوله (يا أيها الناس)[١٠]،وتارة أخرى يخاطب المؤمنين بقوله (يا أيها الذين آمنوا)[١١]،وهو ما يسميه علماء القرآن بمصطلح الجري والانطباق فالآية لا تختص ((بمورد نزولها بل يجري في كل مورد يتحد مع مورد النزول ملاكا كالأمثال التي لا تختص بمواردها الأول بل تتعداها إلى ما يناسبها وهذا المعنى هو المسمى بجري القرآن))[١٢]، وبذا يكون القرآن الكريم دستوراً لكل زمان ومكان، وهذا سر من أسراره الكثيرة.

ولما سئل عن كون القرآن خالقاً أم مخلوقاً أجاب بقوله ((ليس بخالق ولا مخلوق،ولكنه كلام الله عز وجل))[١٣]، وأرشد في قول آخر الى إتباع المحكم في حالة وجود المتشابه في القرآن، وكذا في أخبار أهل البيت عليهم السلام في قوله ((من ردّ متشابه القرآن إلى محكمة هدى إلى صراط مستقيم ثم قال: إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا))[١٤].

نستدل من ذلك كله أنّ القرآن كان هو القاعدة الفكرية التي يستمد الإمام منها كل فكرة ولاسيما في الأسئلة الموجهة إليه فكانت إجاباته تمثل انتزاعات من القرآن ففي رواية عن الصولي ،((عن أبي ذكوان قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يقول : ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيء قط إلا علمه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه ، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن))[١٥]فقد كان الإمام الرضا (عليه السلام) ((حليف القرآن الكريم يتلوه باستمرار ، ويتأمل آياته بإمعان، وكان يجد في تلاوته له متعة لا تعادلها أية متعة في الحياة))[١٦]، وكان يقرأ القرآن بتفكر وتدبر حتى أنه يمضي ثلاثة أيام في ختمه ،وأنه يستطيع أن يختمه في مدة أقرب من هذه المدة لذلك يقول : ((لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت ولكني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت ؟ فلذلك صرت أختم في كل ثلاثة أيام))[١٧] أي أنّ تلاوته كانت مقرونةً بالتفكر بالآيات والتدبر في مضامينها ومعانيها ولطائفها والموضوع الذي وردت، والوقت الذي نزلت فيه، وكان يبكي في أثناء قراءته تأثراً بالقرآن ومضامينه[١٨].

وكان يكثر من تلاوة القرآن في الليل في فراشه فإذا مرّ بآية تتحدث عن الجنة أو النار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار[١٩]، ويروى أنه ختم القرآن ألف ختمة في القميص الذي أهداه الى الشاعر دعبل الخزاعي وكذا صلى فيه في ألف ليلة كل ليلة ألف ركعة؛ لذا يوصي الإمام الشاعر دعبل بالاحتفاظ بهذا القميص المُهدَى، وقد خصّ القميص دون الخاتم والدراهم الرضوية كما في الرواية التي يرويها شيخ الطائفة الطوسي إذ يقول :((... ورحلنا إلى سيدي أنا وأخي دعبل ، فأقمنا عنده إلى آخر سنة مائتين ، وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيدي أبو الحسن

الرضا (عليه السلام) على أخي دعبل قميصا خزا أخضر وخاتما فصه عقيق ، ودفع إليه دراهم رضوية ، وقال له : يا دعبل ، صر إلى قم فإنك تفيد بها . فقال له:احتفظ بهذا القميص، فقد صليت فيه ألف ليلة ألف ركعة، وختمت فيه القرآن ألف ختمة))[٢٠].

وكان الإمام الرضا ﷺ يتلو القرآن عند الطعام فإذا أكل أتى بقصعة فتوضع بقرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئا فيضع في تلك القصعة ثم ((يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية « فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ »[٢١] ثم يقول: علم الله عز وجل أنه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة فجعل لهم السبيل إلى الجنة))[٢٢].

وكان الإمام ﷺ من تفاعله مع القرآن إذا قرأ بعض سور القرآن الكريم عقب عليها ببعض الكلمات من ذلك سورة التوحيد فإذا فرغ من تلاوتها عقب عليها بقوله: « كذلك الله ربنا « يقول ذلك ثلاثا، وكذا سورة الكافرون وإذا فرغ من قراءتها قال ثلاثا « ربي الله وديني الإسلام « أما سورة التين فيقول بعد الفراغ من قراءتها: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين «، وأما سورة القيامة إذا قرأها يقول: « سبحانك اللهم. ..»، وكذا سورة الفاتحة فبعد فراغه من قراءتها يقول: « الحمد لله رب العالمين... ومثل ذلك سورة الأعلى فإذا تلا هذه السورة قال: « سبحان ربي الأعلى « [٢٣]

ولعل من اهتمامه البالغ بتجسيد آيات القرآن وتعاليمه في المجتمع أنّ رجلاً قال للإمام الرضا ﷺ: ((والله ما على وجه الأرض أشرف منك أبا،فقال: التقوى شرفهم وطاعة الله أحظتهم فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: لا تحلف يا هذا

خير مني من كان اتقى لله تعالى وأطوع له والله ما نسخت هذه الآية: (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٢٤]))[٢٥].

ويروي محمد بن يحيى بن أبي عباد قال: حدثني عمي قال :((سمعت الرضا عليه السلام يوما ينشد وقليلا ما كان ينشد شعرا :

كلنا نأمل مدا في الأجل والمنايا هن آفات الأمل

لا تغرنّك أباطيل المنى والزم القصد ودع عنك العلل

إنما الدنيا كظل زائل حل فيه راكب ثم رحل

فقلت لمن هذا أعز الله الأمير؟ فقال: العراقي لكم قلت أنشدنيه أبو العتاهية لنفسه فقال هات اسمه ودع عنك هذا، إن الله سبحانه وتعالى يقول(ولا تنابزوا بالألقاب)[٢٦]ولعل الرجل يكره هذا))[٢٧] فقد نهى أن يُذكر اسم الشاعر إسماعيل بن القاسم بكنيته (أبو العتاهية)، وهو الشاعر المعروف بهذه الكنية التي تعني الحمق ونقص العقل، وذلك من أدب الأئمة الراقي الذي اقتبسوه من أدب القرآن ،وجدهم القائل (صلى الله عليه وآله) : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))[٢٨].

وروي أنه كان آخر ما تكلم به[٢٩] (لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)[٣٠]و (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً)[٣١].

من مأثوراته في التفسير

لم يكن للإمام الرضا كتاب في التفسير، وإنما هي آيات يُسأل عن معناها[٣٢] ،وقد اعتمد على مبدأ الحوار في تفسيره للآيات نختار من ذلك الآتي:

تفسيره مفردة (الترك) في قوله تعالى (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ – البقرة / ١٧) بقوله ((إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف وخلى بينهم وبين اختيارهم))[٣٣].

وتفسيره مفردة (الختم) في قوله تعالى(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم – البقرة / ٧) بمعنى الطبع معتمداً على تفسير القرآن بالقرآن في تفسيره الختم بالطبع أي طبع قلوب الكفار عقوبة على كفرهم كما قال عز وجل: (بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً – النساء/ ١٥٥) [٣٤].

وفسّر الكبائر مفصّلاً في تفسيره قوله تعالى (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ– النساء / ٣١) بقوله ((عبادة الأوثان، وشرب الخمر، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم))[٣٥].

وكان من أساليبه التفسيرية لا يعتمد على الظاهر في الألفاظ القرآنية بل ينفذ الى الباطن من ذلك مقولته في قوله تعالى (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ – المائدة / ٦٤) فعن هشام المشرقي، عن أبي الحسن الخراساني،قال: إن الله – كما وصف نفسه – أحد صمد نور، ثم قال: بل يداه مبسوطتان. فقلت له: أفله يدان هكذا؟ – وأشرت بيدي إلى يده – فقال : لو كان هكذا كان مخلوقا))[٣٦] إذ نفى أن يكون للباري عز وجل يد ،ولو كان كذلك كان مخلوقاً ، وهو الخالق، ومثل ذلك في قوله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ– ص/ ٧٥) قال الإمام الرضا عليه السلام : يعني بقدرتي وقوتي(٣٧)، وكذا تفسيره مجيء الله بمجيء أمر الله وتنزيه الباري عن صفات المخلوقين من المجيء والذهاب والانتقال في قوله تعالى (وَجَاءَ

رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً– الفجر/ ٢٢) إذ إن الله تعالى لا يوصف بالمجيء والذهاب، إنما يعني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً [٣٨].

وكذا في قوله تعالى (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ – الأنعام/ ١٠٣) عن ذي الرياستين أنه قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام:((جعلت فداك أخبرني عما اختلف فيه الناس من الرؤية، فقال بعضهم لا يرى. فقال: يا أبا العباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله، قال الله: « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» هذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا تقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو)) [٣٩]، ولعل ذلك استوحاه من آية قرآنية أخرى، وكأنه فسّر القرآن بالقرآن، والآية هي قوله تعالى (... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ– الحج/ ٤٦).

وهو الناقل عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :((قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قال الله جل جلاله : (ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي وما عرفني من شبهني بخلقي وما على ديني من استعمل القياس في ديني))) [٤٠].

وفي تفسيره قوله تعالى (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ– الأنعام/ ١٢٥) يقول : ((عن حمدان بن سليمان بن النيسابوري قال : سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : (فمن يرد الله يهديه يشرح صدره للإسلام) قال عليه السلام : من يرد الله أن يهديه بإيمانه في الدنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى

يطمئن إليه (ومن يرد أن يضله) عن جنته ودار كرامته في الآخرة لكفره به وعصيانه له في الدنيا (يجعل صدره ضيقا) حرجا حتى يشك في كفره ويضطرب من اعتقاد قلبه حتى يصير (كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)))[٤١].

وفسّر الرجز في قوله تعالى (لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ – الأعراف/ ١٣٤) بالثلج فعن ((سليمان عن الرضا ﷺ في قوله:(لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) قال : الرجز هو الثلج...))[٤٢].

وقد حلّ ﷺ إشكالية ما يوصف به الله تعالى من السخرية، والاستهزاء، والمكر، والخداع في سؤال وُجِه إليه عن قول الله عز وجل (سخر الله منهم – التوبة / ٧٩) وعن قول الله عز وجل : (الله يستهزئ بهم – البقرة / ١٥) وعن قوله : (ومكروا ومكر الله– آل عمران/ ٥٤) وعن قوله (يخادعون الله وهو خادعهم – النساء / ١٤٢) فقال : ((إن الله تبارك وتعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء، وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً))[٤٣].

وفي تفسيره قوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ – الرعد / ١٢) يرى أنّ الخوف للمسافر والطمع للمقيم[٤٤].

وفي تفسيره قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ– القيامة / ٢٢و٢٣) يبين اللفظة المتجانسة مع مثيلتها في اللفظ فيذكر أن هذه الوجوه تكون منتظرة ثواب ربها (٤٥)فهو يكون قد أبعد معنى النظر الى وجه الله.

وفي تفسيره قوله تعالى (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ – الأحقاف/ ٣٥)

قال : ((إنما سمي أولو العزم أولي العزم؛ لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعا « لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعا « لكتابه إلى زمن موسى، وكل نبي كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعا « لكتابه إلى أيام عيسى وكل نبي كان في أيام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعا « لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله فهؤلاء الخمسة أولو العزم وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعده نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه))[٤٦].

وفي تفسيره قوله تعالى (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً – الإنسان/ ٨) سأله عمر بن خلاد عن الضمير العائد في حبه أهو حب الله أو حب الطعام ؟ – قال : حب الطعام[٤٧].

وأحياناً يحتكم الإمام الرضا عليه السلام الى سبب النزول كما في تفسيره قوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى – الليل/ ٥–١٠) ((قال : « إن رجلا من الأنصار كان لرجل في حائطه نخلة ، وكان يضر به ، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه فقال : أعطني نخلتك بنخلة في الجنة فأبى فبلغ ذلك رجلا من الأنصار يكنى أبا الدحداح، فجاء إلى صاحب النخلة فقال : بعني نخلتك بحائطي،

فباعه، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله، قد اشتريت نخلة فلان بحائطي، قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : فلك بدلها نخلة في الجنة. فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله (وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فأما من أعطى (يعني النخلة) واتقى وصدق بالحسنى (بوعد رسول الله صلى الله عليه وآله) فسنيسره لليسرى ۞وما يغني عنه ماله۞ إذا تردى إن علينا للهدى)[٤٨])[٤٩]

ومن تفسيراته الفقهية أنه سئل عن قول الله عز وجل ((ومن الليل فسبحه وأدبار السجود)[٥٠] قال : أربع ركعات بعد المغرب ،(وأدبار النجوم)[٥١] ركعتان قبل صلاة الصبح))[٥٢]، وكذا تفسيره (الإمساك) و (التسريح) في قوله تعالى (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ– البقرة/ ٢٢٩) بقوله ((أما الإمساك بالمعروف فكف الأذى وإجباء النفقة ، وأما التسريح بإحسان فالطلاق على ما نزل به الكتاب))[٥٣].

وكذا في قوله تعالى (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ– البقرة/ ٣٦) يذكر لنا ((أن أجل الإيلاء أربعة أشهر بعدما يأتيان السلطان فإذا مضت الأربعة أشهر فإن شاء أمسك، وإن شاء طلق...))(٥٤).

وفي تفسيره قوله تعالى (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا – الذاريات / ٤) فسّر المقسّمات بالملائكة التي تقسم أرزاق البشر بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه (٥٥).

من آيات الرؤية قوله عز وجل (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل –الفرقان / ٤٥)،

وقوله (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه– البقرة/ ٢٥٨) ،وقوله (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت – البقرة/ ٢٤٣)، وقوله (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل – الفيل / ١) ،وأشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين إذ إنّ معنى ((الرؤية الواردة في الأخبار العلم، وذلك أن الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات، فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره في ثوابه وعقابه ما يزول به الشكوك ويعلم حقيقة قدرة الله عز وجل، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)[٥٦] فمعنى ما روي في الحديث أنه عز وجل يرى أي يعلم علما يقيناً)) (٥٧)، وفي ذلك حوار ظريف دار بين الإمام الرضا ﷺ والمأمون فقال له المأمون : ((يا ابن رسول الله أليس من قولك : إن الأنبياء معصومون ؟ قال : بلى ، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأل أن قال له : فما معنى قول الله عز وجل : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني « الآية[٥٨] ؟ كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله عن هذا السؤال؟ فقال الرضا ﷺ : إن كليم الله موسى بن عمران ﷺ علم أن الله تعالى جل جلاله عن أن يرى بالأبصار ،ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجيا رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف ، ثم اختار منهم سبعمائة ، ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربه فخرج بهم إلي طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل، وصعد موسى عليه السلام إلي الطور، وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه ، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين

وشمال ووراء وأمام ؛لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة ، ثم جعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا : لن نؤمن لك بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة ، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عزّ وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا ، فقال موسى : يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا : إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاة الله إياك ؟ فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته! فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا يري بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه.فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحي الله جل جلاله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسى عليه السلام: « رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلي الجبل فإن استقر مكانه « وهو يهوي « فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل « بآياته « جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك « يقول: رجعت إلي معرفتي بك عن جهل قومي « وأنا أول المؤمنين « منهم بأنك لا ترى. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن))[٥٩].

وتفسيره (النعيم) في قوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ– التكاثر/ ٨) بحب أهل البيت وولايتهم مصححاً لمن كان بحضرته من الفقهاء كما يظهر من الرواية الآتية عن إبراهيم بن عباس الصولي الكاتب بالأهواز سنة ٢٢٧ه قال : ((كنا يوما بين يدي علي بن موسى عليهما السلام فقال لي : ليس في الدنيا نعيم حقيقي فقال له بعض الفقهاء ممن يحضره : فيقول الله عز وجل (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أما هذا النعيم في الدنيا وهو الماء البارد فقال له الرضا عليه السلام وعلا صوته : كذا

فسرتموه أنتم وجعلتموه على ضروب فقالت طائفة : هو الماء البارد وقال غيرهم :هو الطعام الطيب وقال آخرون : هو النوم الطيب قال الرضا عليه السلام : ولقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن أقوالكم هذه ذكرت عنده في قول الله تعالى : (ثم لتسئلُنَّ يومئذ عن النعيم) فغضب عليه السلام وقال : إن الله عز وجل لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم ،والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضي المخلوق به ؟ ! ولكن النعيم حبنا أهل البيت، وموالاتنا يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة؛ لأن العبد إذا وفا بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول ولقد حدثني بذلك أبي عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: قال رسول الله (ص) : يا علي إن أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (ص) وإنك ولي المؤمنين بما جعله الله وجعلته لك فمن أقر بذلك وكان يعتقده صار إلى النعيم الذي لا زوال له ...))[٦٠].

وسئل الإمام الرضا ﷺ عن التوحيد فقال : ((كل من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد ، قلت : كيف يقرؤها ؟ قال : كما يقرؤها الناس وزاد فيه كذلك الله ربي كذلك الله ربي))[٦١].

وكان للإمام الرضا ﷺ دور في إثبات عصمة الأنبياء – عليهم السلام- عندما يُسأل عن تفسير بعض الآيات الظاهرة في عدم عصمتهم ،وجواز المعصية عليهم كما في أكثر مناظراته مع المأمون وغيره من ذلك سؤال المأمون الإمام عن النبي إبراهيم ﷺ وعن مرحلة الشك التي مرّ بها ظاهر النص القرآني في حديثه عن إبراهيم حتى ظهر له الحق وآمن به[٦٢] .قال تعالى (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ

مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۞ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ – الأنعام/ ٧٦-٧٩) كما في الرواية المروية عن ((علي بن محمد بن الجهم ، قال : حضرت مجلس المأمون وعنده علي بن موسى الرضا عليهما السلام ، فقال له المأمون : يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون ، قال : بلى ، قال : فسأله عن آيات من القرآن ، فكان فيما سأله أن قال له : فأخبرني عن قول الله عز وجل في إبراهيم (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) فقال الرضا عليه السلام : إن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف : صنف يعبد الزهرة ، وصنف يعبد القمر ، وصنف يعبد الشمس ، وذلك حين خرج من السرب الذي أخفي فيه ، فلما جن عليه الليل ورأى الزهرة قال : هذا ربي على الإنكار والاستخبار ، فلما أفل الكوكب قال : (لا أحب الآفلين) لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القديم ، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربي على الإنكار والاستخبار ، فلما أفل قال : (لئن لم يهدني ربي لأكونَنَّ من القوم الضالين) فلما أصبح (ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار، فلما أفلت قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس : (يا قوم إني برئ مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، وإنما أراد إبراهيم بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس ، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض، وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله عز وجل وآتاه كما قال الله عز وجل : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)[٦٣] فقال المأمون : لله درك يا ابن رسول الله...))[٦٤].

الخاتمة

إن الثروة العلمية الهائلة التي قدّمها الإمام الرضا ﷺ للعالم الإسلامي بل للعالم الإنساني عامة ولأتباع أهل البيت خاصة قد شملت ألوان العلوم والمعارف من فلسفة، وكلام، وطب، وفقه، وتفسير، وتاريخ، وتربية، وآداب، وسياسة،واجتماع،...الخ.

عني الإمام الرضا (عليه السّلام) عناية بالغة بتفسير القرآن الكريم قراءة وحفظاً وتدريساً وتفسيراً وتأويلاً، بحيث نقل الفكر القرآني والثقافة القرآنية إلى الآخرين بأحسن بيان وأوضح برهان فأولاه المزيد من العناية في محاضراته وبحوثه التي ألقاها على الفقهاء والعلماء وسائر طلابه وقد نقلها الرواة والمفسرون للقرآن الكريم، وكان الإمام ﷺ يعشق القرآن الكريم، وعاش طول حياته في أجواء قرآنية فهو الذي أدي إلى أن يبرمج ذلك لحياته الفردية.

لا تختلف نظرة الإمام الرضا ﷺ عن بقية الأئمة إلى القرآن بوصفهم ترجمان القرآن والعدل الثاني بعد كتاب الله،وأنهما لن يفترقا حتى يردا على المصطفى الحوض فهو يرى أنّنا يجب أن نقف عند آيات القرآن ندرسها ونتدبرها ونأخذ منها خطوط الحركة في الواقع،ومناهج الحركة في ما نتحرك به في هذا العلم أو ذاك فهو الهدى والنور فإذا انفتحنا عليه، وعرفنا كل معانيه فإننا سوف نعرف الهدى مشرقاً منيراً أما إذا تجاوزناها الى غيرها فإننا نرى ظلمات بعضها فوق بعض.

وأرشد الى إتباع المحكم في حالة وجود المتشابه في القرآن، وكذا في أخبار أهل البيت ﷺفكان القرآن هو القاعدة الفكرية التي يستمد الإمام منها كل فكرة، ولاسيما في الأسئلة الموجهة إليه فكانت إجاباته تمثل انتزاعات من القرآن.

وكان يكثر من تلاوة القرآن في الليل في فراشه فإذا مرّ بآية تتحدث عن الجنة أو النار بكى وسأل الله الجنة وتعوذ به من النار، وكان ﷺ يتلو القرآن عند الطعام فإذا أكل أتى بقصعة فتوضع بقرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئا فيضع في تلك القصعة ثم يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ

وكان الإمام ﷺ من تفاعله مع القرآن إذا قرأ بعض سور القرآن الكريم عقب عليها ببعض الكلمات من ذلك سورة التوحيد فإذا فرغ من تلاوتها عقب عليها بقوله: « كذلك الله ربنا » يقول ذلك ثلاثا، وكذا سورة الكافرون وإذا فرغ من قراءتها قال ثلاثا « ربي الله وديني الإسلام » أما سورة التين فيقول بعد الفراغ من قراءتها: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين »، وأما سورة القيامة إذا قرأها يقول: « سبحانك اللهم..»، وكذا سورة الفاتحة فبعد فراغه من قراءتها يقول: « الحمد لله رب العالمين.. ومثل ذلك سورة الأعلى فإذا تلا هذه السورة قال: « سبحان ربي الأعلى .

وظل القرآن أنيساً حتى الرمق الأخير من حياته الشريفة إذ يروى أنه كان آخر ما تكلم به قوله تعالى (لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)، وقوله(وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً).

أما أسلوبه في التفسير فقد تنوع فتارةً يفسّر القرآن بالقرآن، وثانية يفسّره تفسيراً باطنياً لا يعتمد فيه على ظاهر الألفاظ، وثالثة يفسّره تفسيراً فقهياً، وقد يحتكم الى سبب النزول، وهكذا بحسب المقام إذ تجد مناهج التفسير كلها عند الإمام (صلوات الله عليه) واضحة جلية ينوّع في استخدامها.

ولم يكن للإمام الرضا كتاب في التفسير، وإنما هي آيات يُسأل عن معناها، وقد اعتمد على مبدأ الحوار في تفسيره للآيات، وكان له ﷺ دور في إثبات عصمة الأنبياء –عليهم السلام– عندما يُسأل عن تفسير بعض الآيات الظاهرة في عدم عصمتهم، وجواز المعصية عليهم كما في أكثر مناظراته مع المأمون كما في مناظراته واحتجاجاته مع المأمون، والزنادقة، وأهل الكتاب.

الهوامش

١)) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام ٢/ ٣٠.

٢)) بحار الأنوار / المجلسي ٣٦/ ٣١٧.

٣)) ينظر: علي بن موسى الرضا والقرآن الحكيم / آية الله جوادي آملي ٧-٨.

٤)) عيون أخبار الرضا / الشيخ الصدوق ٢/ ٦٢.

٥)) ينظر: في رحاب أهل البيت عليهم السلام / السيد محمد حسين فضل الله ٢/ ٣٥١.

٦)) الآية ٤٢ من سورة فصلت.

٧)) بحار الأنوار ١٧/ ٢١٠.

٨)) ينظر: في رحاب أهل البيت عليهم السلام ٢/ ٣٥١و٣٥٣.

٩)) عيون أخبار الرضا ٢/ ٩٣.

١٠)) البقرة/ ٢١و١٦٨،والنساء/ ١و١٣٣و١٧٠و١٧٤، والأعراف/ ١٥٨، ويونس/ ٢٣ و٥٧و١٠٤ و١٠٨، وغيرها.

١١)) البقرة / ١٠٤و١٥٣و١٧٢و١٧٨و١٨٣و٢٠٨و٢٥٤و٢٦٤و٢٦٧و٢٧٨و٢٨٢، وآل عمران/ ١٠٠و١٠٢ و١١٨، وغيرها.

١٢)) الميزان / الطباطبائي ٣/ ٦٧.

١٣)) التوحيد / الشيخ الصدوق ٢٢٣.

١٤)) عيون أخبار الرضا ١/ ٢٦١.

١٥)) بحار الأنوار ٤٩/ ٩٠.

١٦)) حياة الإمام الرضا / الشيخ باقر شريف القرشي ١/ ٢٩٦

١٧)) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٩٣.

١٨)) ينظر: العترة والقرآن / الشيخ علي الكريمي الجهرمي ١٥٢.

١٩)) ينظر: وسائل الشيعة (آل البيت) / الحر العاملي ٦/ ٢١٧.

٢٠)) الأمالي / الشيخ الطوسي ٣٥٩.

٢١)) الآية ١١ من سورة البلد.

٢٢)) الكافي / الكليني ٤/ ٥٢.

٢٣)) ينظر: مصباح الفقيه / آقا رضا الهمداني ج٢ ق ١/ ٣١١، وحياة الإمام الرضا ١/ ٢٩٦.

٢٤)) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

٢٥)) عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٦٢.

٢٦)) الآية ١١ من سورة الحجرات.

٢٧)) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٩٠.

٢٨)) بحار الأنوار ١٦/ ٢١٠.

٢٩)) عيون أخبار الرضا ٢/ ٢٦٧.

٣٠)) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

٣١)) الآية ٣٨ من سورة الأحزاب.

٣٢)) ينظر: الإمام الرضا – تاريخ ودراسة / السيد محمد جواد فضل الله ٣٨٢.

٣٣)) عيون أخبار الرضا ١/ ١١٣.

٣٤)) ينظر : المصدر نفسه، المكان نفسه.

٣٥)) مستدرك الوسائل / الميرزا حسين النوري الطبرسي ١١/ ٣٥٦.

٣٦)) بحار الأنوار ٣/ ٢٩١.

٣٧)) التوحيد ١٥٤.

٣٨)) ينظر : البرهان في تفسير القرآن / هاشم البحراني ٥/ ٦٥٦.

٣٩)) المصدر نفسه ٤/ ٥٤.

٤٠)) عيون أخبار الرضا ١/ ١٠٧.

٤١)) المصدر نفسه ١/ ١٢٠.

٤٢)) تفسير العياشي / محمد بن مسعود العياشي ٢/ ٢٥.

٤٣)) التوحيد ١٦٣.

٤٤)) ينظر : عيون أخبار الرضا ١/ ٢٦٥.

٤٥)) ينظر : التوحيد ١١٦.

٤٦)) بحار الأنوار ١١/ ٣٥

٤٧)) ينظر: المحاسن / البرقي ٢/ ٣٩٧.

٤٨)) سورة الليل / الآيات ١٠-١٢.

٤٩)) قرب الإسناد / الحميري القمي ٣٥٦، وينظر : أسباب النزول / الواحدي ١/ ٤٧٧.

٥٠)) الآية ٤٠ من سورة ق.

٥١)) الآية (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ– الطور/ ٤٩).

٥٢)) بحار الأنوار ٨٤/ ٨٨.

٥٣)) المصدر نفسه ١٠١/ ١٥٥.

٥٤)) تفسير العياشي ١/ ١١٣.

٥٥)) ينظر : مكارم الأخلاق / الشيخ الطبرسي ٣٠٥.

٥٦)) الآية ٢٢ من سورة ق.

٥٧)) التوحيد ١٢٠.

٥٨)) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

٥٩)) بحار الأنوار ٤/ ٤٨.

٦٠)) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٣٧.

٦١)) الكافي ١/ ٩١.

٦٢)) ينظر: الإمام الرضا – تاريخ ودراسة ٣٨٦-٣٩١.

٦٣)) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

٦٤)) التوحيد ٧٧.

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تح/ كمال بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.

الأمالي، الشيخ الطوسي، تحقيق/ قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤ه.

الإمام الرضا – تاريخ ودراسة، السيد محمد جواد فضل الله، إشراف: الأستاذ سامي الغريري، وتحقيق: محمد صادق الغراوي، ط١، مطبعة ستار، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٨ه.ق– ٢٠٠٧م.

بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، ويحيى العابدي الزنجاني ، والسيد كاظم الموسوي الميانوي ، ط٣ ،دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.

البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية / مؤسسة البعثة – قم، (د.ت).

تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، تصدى لطبعه ونشره: السيد محمود الكتابچي وأولاده صاحب المكتبة العلمية الإسلامية، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران،(د.ت).

التوحيد، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ت).

حياة الإمام الرضا ﷺ، الشيخ باقر شريف القرشي، انتشارات سعيد بن جبير،قم ، المطبعة : مهر ،١٣٧٢ش.

العترة والقرآن، الشيخ علي الكريمي الجهرمي، دار القرآن الكريم، قم ،١٤١٣ه.

علي بن موسى الرضا والقرآن الحكيم، آية الله جوادي آملي، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ،١٤٢٩ه–٢٠٠٩م.

عيون أخبار الرضا ﷺ، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مطابع مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان ،١٤٠٤ – ١٩٨٤م.

في رحاب أهل البيت ﷺ، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد وتنسيق: شفيق محمد الموسوي وسليم الحسني، دار التوحيد، (د.ت).

قرب الإسناد، الحميري القمي، تحقيق : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١، المطبعة : مهر – قم،

الناشر : مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث – قم، ١٤١٣ه.

– الكافي، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٣، المطبعة:حيدري، دار الكتب الإسلامية – طهران، ١٣٦٧ ش.

المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، ط١، المطبعة:رنگين – تهران – ١٣٢٧، دار الكتب الإسلامية – طهران، ١٣٧٠ – ١٣٣٠ش.

مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط٢، الناشر: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ – ١٩٨٨م.

مصباح الفقيه (ط.ق)، آقا رضا الهمداني، طبعة حجرية، انتشارات مكتبة النجاح، طهران، (د.ت).

مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي، ط٦، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢ – ١٩٧٢م.

الميزان (تفسير)، السيد الطباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ت).

نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ، شرح: الشيخ محمد عبده، ط١، المطبعة:النهضة، قم، دار الذخائر، إيران،١٤١٢ق– ١٣٧٠ ش.

وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط٢، المطبعة:مهر، قم، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث بقم المشرفة ،١٤١٤ه.